فلسطيني، وجرح نحو عشرة آلاف، وثمة سبعة آلاف فلسطيني قيد الاعتقال (**معاريف**، ٢/٦/١٩٨٩). والسؤال، كم فلسطينياً كان يجب على الجيش ان يقتل، ويجرح، ويعتقل، حتى يكون في نظر المستوطنين غير متسامح؟ فالمستوطنون الذين لا يرون أملاً في التغلب على الانتفاضة، يطالبون الجيش باعتبار الانتفاضة «حرباً كاملة» يجب عليه خوضها بكل ما تتطلبه قواعد الحرب العسكرية، أي «قتل العدو، والذي هو، في هذه الحالة، السكان المدنيين العرب» (روبنشتاين، **مصدر سبق ذكره**).

وفي ظل الوضع الجغرافي المعقّد، والتركيبة الديمغرافية القائمة في المناطق الفلسطينية المحتلة، يطالب المستوطنون الجيش بالمستحيل. فهم «يدركون أن الحكومة الاسرائيلية لن تضمّ المناطق [المحتلة]، ولن تطرد، ايضاً، العرب، أو تقضي على غالبيتهم. ان المستوطنين يقفزون ويرفسون بأقدامهم عندما لا يحصلون على مرادهم. وهم بذلك يقوّضون الجيش الاسرائيلي، أي يقوضون الحماية المتوفرة لنا جميعاً، ويشنون حملات عقابية ضد السكان، ويصبحون في حاجة، اكثر من ذي قبل، الى وسائل عديدة للحماية. ومن هو العنصر الذي يطالبونه بتوفير تلك الوسائل لحمايتهم؟ انه الجيش الاسرائيلي الذي يوجهون اليه الاهانات، ويثقلون كاهله بعبء ثقيل على الرغم من أنه غير قادر حتى على تحمّل العبء الحالي» (اريبه بيلغي، **عل همشمار**، ٣٠/٥/١٩٨٩).

العقلانيون من الاسرائيليين لا يرون ما يراه المستوطنون المتطرفون. فهؤلاء العقلانيون يعارضون ظاهرة انتشار «الميليشيات الشعبية»، لان انتشارها يقود الى فوضى كاملة قد تتدهور فيها الامور الى درجة تحويل الانتفاضة الى «حرب حقيقية». ويرون ان الجيش الاسرائيلي هو المؤسسة الرسمية؛ وبما أن رئيس الاركان يقف على رأس جيش «لشعب منقسم بين المطالبين بالمحافظة على تكامل البلد وبين من يرفض بشدة السيطرة على شعب آخر، فهو (اي رئيس الاركان) يسير على جسر ضيق يصل بين طرفي هوّة سحيقة؛ ومن يطلب من رئيس الاركان التصرف بأكثر مما يتصرف كأنه يطالب بتحطيم هذا الجسر» (شيفح فايتس، **دافار**، ٤/٦/١٩٨٩).

وأكثر من هذا، لقد بدأ بعض الاسرائيليين الحريصين على بقاء اسرائيل وسط المتغيرات الكثيرة، سواء بالنسبة الى المشروع الصهيوني وآفاقه، أو بالنسبة الى الظروف الاقليمية المحيطة، يدرك ان المستوطنين في تصرفاتهم انما «يدمّرون الهيكل الثالث ويقودون الجميع الى شفير الهاوية... وهم يسارعون في تقريب الحرب الاهلية» (**دافار**، ٨/٦/١٩٨٩)؛ بل ان هذا البعض راح يتحدث عن المشاكل الاخلاقية التي يسببها الاحتلال، معتبراً أن مصدر الخطأ في كل ما يجرى «يكمن في مشروع الاستيطان. فطالما ان الاستيطان قائم وموجود، وطالما لم يتمّ تقليصه الى احجام منطقية، وتسخيره لمبدأ ' أراض مقابل سلام' ، فسوف يظل من دون دفاع شامل. ومن دون هذا الدفاع، يشعر المستوطنون بأنهم مهملون، وأنهم تعرضوا للخيانة، ويتوجهون ضد الجيش الاسرائيلي حيث يضعفون من امننا جميعاً، وهكذا دواليك» (بيلغي، **مصدر سبق ذكره**).

والمأزق الحقيقي للجيش الاسرائيلي مصدره الانتفاضة التي تجذّرت وتصلّب عودها، وغدت نمط حياة للفلسطينيين في الاراضي المحتلة. وقد أصبح لدى معظم قادة اسرائيل، العسكريين والسياسيين، انطباع بأنه من الصعب القضاء عسكرياً على الانتفاضة المتواصلة. وتكرر هذا الاعتراف مراراً، حتى من شامير، الذي قال في حضور أعضاء السكرتارية السياسية للكيبوتس الديني: «ان الانتفاضة هي احدى أشكال الحرب التي يخوضها أعداؤنا ضد وجودنا... لقد وصلنا الى وضع صعب... والمعركة الامنية صعبة، ووجود اسرائيل هو المعنيّ فيها... ونحن نبحث عن الاسلوب الأفضل لمعالجة هذا الموضوع، واعتقد بأننا نقترب من ذلك، على الرغم من أن هذا الأمر ليس سهلاً» (**معاريف**، ٦/٦/١٩٨٩). فالانتفاضة هي، من وجهة نظر الفلسطينيين ـ حسب قول أحد العسكريين الاسرائيليين المجرَّبين ـ «بمثابة انجاز. وكلما مرّ الوقت، كلما كان من الصعوبة أكثر اجبارهم على ايقافها. وعلى الرغم من تزايد عدد المصابين والمصاعب التي يواجهها السكان، فلا يبدو ان زيادة استخدام الاجراءات العسكرية (كمضاعفة عدد المنازل التي تهدمها السلطات،